

العنوان:	الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	الزين، لبنى إبراهيم مصطفى
مؤلفين آخرين:	التل، وائل عبدالرحمن(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 150
رقم MD:	562516
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفكر التربوي ، ابن حزم، عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، ت 135 هـ، الأحوال السياسية ، الأندلس، الإنتاج الفكري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/562516

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و التل، وائل عبدالرحمن. (2001). الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/562516>

أسلوب MLA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و وائل عبدالرحمن التل. "الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2001. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/562516>

الفصل الخامس

مناقشة نتائج الدراسة

الفصل الخامس

مناقشة نتائج الدراسة

يخصص هذا الفصل لمناقشة النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وعلى النحو التالي :

أولاً : مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول وهو : ما القواعد السلوكية العقلية والمعرفية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تمكنت الباحثة من الكشف عن (٩) تسع قواعد سلوكية عقلية ومعرفية، وتناقش هذه النتيجة في ضوء أهمية كل قاعدة سلوكية في التربية الإسلامية، وكما يلي :

١-٢ طلب العلم والعمل به :

مما يدل على أن الإسلام اعتنى بالعلم عناية فائقة ما ورد في ذلك من آيات قرآنية أوضحت فضله، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ^(١). وقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم ﴾ ^(٢). وكذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ ، فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » ^(٣).

كما تتضح أهمية طلب العلم والعمل به مما قاله علماء المسلمين ، فقد قال أبو الدرداء : « ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات، ولا يكون الرجل عالماً حتى يكون متعلماً » ^(٤). وقال الماوردي : « من كان زاهداً في العلم أن يكون فيه راغباً ، وينصح الراغب فيه أن يكون له طالباً، وينصح طالب العلم أن يستكثر من العلم وأن يعمل به، وأن لا يتركه لحجج واهية، ولا يبحث عن الأعذار التي يبرر بها سبب تقصيره، وأن يترك التسويف والمواعيد الكاذبة التي يعد فيها نفسه وعينها بانقطاع الأشغال ثم يطلب العلم فإن لكل وقت شغلاً ولكل زمان عذراً » ^(٥).

(١) سورة العلق : آية ١-٥.

(٢) سورة النساء : آية ٦٨.

(٣) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت ٢٧٩هـ) : سنن الترمذي، لمحقق محمد فؤاد عبدالباقى، تونس : الناشر دار سحنون، ١٩٩٩م، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، ج ٥، ص ٢٩، حديث رقم ٢٦٤٧. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الترمذي : السنن).

(٤) السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم : تنبيه الغافلين، د. ط. بيروت : الناشر دار الجيل، د. ت، ص ٢٧١. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : السمرقندي : تنبيه الغافلين).

(٥) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) : أدب الدنيا والدين، ط ١، القاهرة : الناشر الشركة العربية للنشر، ١٩٧٠م، ص ٥٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الماوردي : أدب الدنيا والدين).

وركز ابن جماعة على أهمية العلم في مرحلة الشباب فقال : « أن يبادر في شبابه وأوقات غمره إلى التحصيل ولا يغتر بجذع التسويف والتأجيل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجِدِّ في التحصيل فإنها كقواطع الطريق »^(١). وقال أيضاً : « حسن النية في طلب العلم، أن يقصد به وجه الله تعالى، والعمل به »^(٢). وقد كان العمل بالعلم هو ديدن الصحابة والعلماء المسلمون الأوائل، فقد قال عبدالله بن مسعود : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »^(٣). وقال أبو عبدالرحمن السلمي : « حدثنا اللذين يقرؤننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً »^(٤). وقال الغزالي : « العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون »^(٥). ويرى أن السماع دون العمل ودون الاتعاظ غرور ويؤكد على أن فضل مجالس الذكر ترغيبها في الخير والعمل به، فيقول : « إن من عوام الخلق من اغتر بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أنها تغنيهم، وظنوا أن لهم أجراً على مجرد السماع دون العمل ودون الاتعاظ، فهم مغرورون ، لأن فضل مجالس الذكر إنما تحصل لكونها مرغبة في الخير، والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل »^(٦).

٣- الاستزادة من العلم والأجر:

تظهر أهمية الاستزادة من العلم والأجر في قوله تعالى : (وقل رب زدني علماً)^(٧) وفي قول رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »^(٨)

(١) ابن جماعة ، بدر الدين إبراهيم سعد الله (ت ٥٧٣٣هـ) : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، د. ط، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، د. ت ، ص ٧٠ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم).

(٢) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) ابن كثير ، إسماعيل : تفسير القرآن العظيم - المقدمة، د. ط، القاهرة : الناشر دار إحياء الكتب العربية، د. ت، ج ١، ص ٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن كثير: تفسير القرآن العظيم).

(٤) المرجع السابق، ص ٣.

(٥) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) : أيها الولد، تحقيق علي محي الدين، ط ٢، القاهرة : الناشر دار الاعتصام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٠٨. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الغزالي : أيها الولد).

(٦) الغزالي ، محمد بن محمد أبي حامد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) : منهاج العابدين، ط ١، القاهرة : الناشر مكتبة الجندي، ١٩٥٤م، ١٠٦-١٠٧. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الغزالي، منهاج العابدين).

(٧) سورة البقرة : آية ١٥٢.

(٨) البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) : الجامع لشعب الإيمان، تحقيق عبدالعلي عبدالحميد، د. ط الهند : الناشر دار السلفية ١٩٨٦م، ج ٤، ص ٢٨١. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : البيهقي : الجامع لشعب الإيمان).

وقوله **«عَنْهُ»** : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً من طرق الجنة » ^(١) وقوله **«عَنْهُ»** : « من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فليُنظر إلى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكل حرف وبكل قدم عبادة سنة، وبني له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له، ويمشي ويصبح مغفوراً، وشهدت له الملائكة ويقولون هؤلاء عتقاء الله من النار » ^(٢).

كما أكد العلماء المسلمون على أهمية هذه القاعدة فقد قال الحسن البصري : « ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد في سبيل الله إلا أن يكون طلب العلم » ^(٣). وقال الزرنوجي : « من طلب شيئاً وجد ومن قرع الباب ولجّ ولجّ لاهد من الجهد والمواظبة والملازمة لطالب العلم ، ولاهد لطالب العلم من الهمة العالية في العلم، فإن المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه » ^(٤).

طلب أجل العلوم :

نستدلّ على أهمية طلب أجل العلوم بما ورد عن أئمة الإسلام وعلماء المسلمين، ومن ذلك أن ميمون ابن مهران قال : سألت أبا عبد الله أيهما أحب إليك أن أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث، قال : بالقرآن ^(٥). وقال المبارك : « إن العلم يقدم على نقل القرآن، ولأن القرآن عبادة يمكن إدراكها والفراغ منها في الصغر غالباً، والعلم عبادة العمر لا يفرغ منه فيجمع بينهما حسب الإمكان » ^(٦). وقال ابن هانئ : « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار، يعني في قلب رجل » ^(٧) وقال أبو الحارث : « أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم » ^(٨). وقال سفيان الثوري : « أكثروا من الحديث فإنه سلاح » ^(٩). أما أنواع العلوم فيرى الشافعي

(١) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ) : سنن ابن ماجة، ط ٢، تونس : الناشر دار سحنون، ١٩٩٢م، المقدمة، باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم، ج ١، ص ٨٠، حديث رقم ٢٢٤. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : ابن ماجة: السنن).

(٢) السمرقندي : تنبيه الخافلين، ص ٢٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٤) الزرنوجي، برهان الإسلام (ت ٥٩١هـ) : تعليم المتعلم طريق التعلم، د. ط، بيروت : الناشر المكتبة الشعبية، د. ت، ص ٢٤. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم).

(٥-٦) ابن مفلح ، شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصاري (ت ٥٦٠هـ) : الآداب الشرعية والمنح المرعية، د. ط، الرياض : دار حامد للطباعة ، د. ت، ج ٣، ص ٣٣ (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية).

(٧-٨) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٩) المرجع السابق، ص ٤٢.

أن العلم علمان : علم عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله مثل أن الصلوات خمس، وأن الله فرض الصوم والحج للمستطيع، والزكاة في الأموال، وحرّم الزنا والخمر والقتل والسرقة. والوجه الثاني ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتابي ولا في أكثره نص سنة، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياساً، وهذه درجة من العلم ليس يبلغها العامة. ولم يكلفها كل الخاصة ^(١). ويرى البيهقي أن أجل العلوم علم الدين وينقسم أقساماً منها ^(٢):

١- علم الأصل وهو معرفة البارئ جل ثناءه ومعرفة ما جاء من الله عزّ وجل وفيها علم النبوة.

٢- علم الأحكام وهو الكتاب والسنة.

٣- معرفة ما به يمكن طلب الأحكام وهو العلم بلسان العرب.

وقد بيّن ابن القيم الجوزية أن للعلم درجات هي ^(٣):

١- علم جلي وهو ما وقع عن عيان هو البصر، وما استند إلى العقل وما يدرك بالباطن وما يرسل

بخبير المخبر الصادق وما يحصل بالفكر والاستنباط.

٢- علم خفي وهذا ينبت في الأسرار.

٣- علم لدني . قال تعالى : ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ ^(٤) أي من عندنا .

٥- التدرج في دراسة العلوم :

لأهمية التدرج في دراسة العلوم حث الماوردي طالب العلم على الأخذ بمبدأ التدرج مبيناً « أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، ناصحاً طالب العلم أن يبتدئ بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، ويمدخلها ليفضي إلى حقائقها، وألا يطلب الآخر قبل الأول ولا الحقيقة قبل المدخل. فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لأن البناء على غير أسس لا يبني والشمر من غير غرس لا يجنى » ^(٥). وفي ذلك قال ابن

(١) البيهقي : الجامع لشعب الإيمان، ج٤، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٣) ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ) : مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، د. ط. القاهرة : الناشر دار الحديث، د. ت. ص ٤٩٢ (وسيشار إليه فيما بعد هكلاً : ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين).

(٤) سورة الكهف، آية ٦٥.

(٥) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٥٥.

عبدالبر القرطبي : « أن العلم درجات ومنازل ورتب لا ينبغي تعديها ، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف ، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلّ ومن تعداه مجتهداً ذل » ^(١) وقال : « أول ما ينبغي طلبه من العلم حفظ كتاب الله - عز وجل - وتفهمه وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه » ^(٢) . وقال الغزالي : « لا يخوض المتعلم في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض وأن الموفق هو من راعى ذلك الترتيب والتدرج » ^(٣) . أما من ناحية طبيعة التدرج فيرى الخطيب البغدادي أنه يعود لاختلاف الناس في قدراتهم على التعلم فقال : « إن كل فرد في نوعه وله نمطه الخاص وصفاته وقدراته العقلية » ^(٤) . ومن هذا نخلص إلى أن مبدأ التدرج له أهداف تربوية قيّمة ، حيث أنه يطرد الملل ، ويحقق فهم العلم ويضمن إلى حد ما حفظه .

٦- نشر العلم :

بيّن الله تعالى في أهمية نشر العلم بقوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ^(٥) ومن قول رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً » ^(٦) . وعليه فإن رسول الله ﷺ حدّد خصائص نشر العلم بقوله : « لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا الذي يدعوكم من الخمس إلى الخمس ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن التكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد » ^(٧) . وقال سفيان الثوري : « أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره » ^(٨) .

(١) ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عمر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) : جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، ط ١ ، بيروت : الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٤٠م ، ج ٢ ، ص ١١٣ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) : إحياء علوم الدين ، تحقيق بدري طهانة ، د . ط ، القاهرة : الناشر دار إحياء الكتب ، د . ت ، ج ٤ ، ص ٦٧ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الغزالي : إحياء علوم الدين) .

(٤) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) : الفقيه والمتفقه ، تحقيق إسماعيل الأنصاري ، ط ٢ ، الرياض : الناشر مطابع القصيم ، ١٣٨٩هـ ، ج ٢ ، ص ١٠٧ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : البغدادي : الفقيه والمتفقه) .

(٥) سورة آل عمران : آية ٨٧ .

(٦) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي الحوزاني (ت ٦٧٦هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، د . ط ، بيروت : الناشر دار الفكر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سبئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ ، حديث رقم ٢٦٧٤ .

(٧) (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : النووي : صحيح مسلم بشرح النووي) .

(٨) (أ) السمرقندي : تنبيه الغافلين ، ص ٢٧١ .

وعقد ابن عبد البر لهذا المبدأ باباً أسماه دعاء رسول الله ﷺ «لستمع العلم وحافظه ومبلغه»^(١)، وذكر فيه أن النبي ﷺ قال : «نظر الله إمرءً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره. فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٢).

٧- التدبر والتبصر :

لقد حثت آيات كثيرة في القرآن الكريم على التدبر والتبصر، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾^(٣). وقد تحدث الغزالي في بيان معنى الفكر ومقدماته، من سماع وتيقظ وذكر ولواحقه العلم، لأن من سمع تيقظ، ومن تيقظ تذكر، ومن تذكر تفكر، ومن تفكر علم، ومن علم عمل. إن كان علماً يراد للعمل، وإن كان علماً يراد لذاته سعد والسعادة غاية المطلب. أمّا السماع فحقيقته الانتفاع بالمسموع من حكمة أو موعظة، وشرطه الإصغاء، وهو واجب في استماع كل علم، وهو فرض عين مدركة السمع، ومستحب فيما سواه في العلوم المحموده، ويحرم فيما حرم الشارع من المحرمات، ويكره فيما يكره استماعه، وأمّا اليقظة، فهي انتباه القلب للخبر، وأمّا التذكر فهو تكرار المعارف على القلب لتثبيت وترسخ، وأمّا التفكير فهو أن يجمع بين علمين مناسبين للعلم الذي أنت طالبه بشرط عدم الشك فيهما، وفراغ القلب من غيرهما ويصدق النظر فيهما تحديقاً بالغاً فلم يشعر إلا وقد انتقل القلب من الميل الخسيس إلى الميل النفيس إحضاراً لمعرفتين يسمى تذكراً وحصول المعرفة الثالثة يسمى تفكيراً وهو واجب عند الشك وعند ردود الشبهة وعند علاج أمراض القلوب^(٤).

إن التفكير درجة، أو نوع خاص، من التفكير يتميز به أولو الأبواب، أي أصحاب القلوب والعقول، والتفكير عملية مرتبطة بالعقل، وهي بذلك تخص المخلوقات أو الكائنات العاقلة^(٥). وقدرة التدبر اقترنت الإشارة إليها بالقدرة على الرسط بين المقدمات والنتائج واكتشاف الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج^(٦).

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) سورة النساء : آية ٨٢.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) : روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق محمد لحيني، د. ط، بيروت : الناشر دار النهضة الحديثة، د. ت، ص ١٥٠. (وسيلار إليه فيما بعد هكنا : الغزالي : روضة الطالبين).

(٥) كمورة، الأمين محمد أحمد : التفكير في خلق السموات والأرض وما بينهما، د. ط، مدني - السودان : الناشر المطبعة الحكومية، ١٤١٥ هـ، ص ١١٦. (وسيلار إليه فيما بعد : كمورة : التفكير في خلق السموات والأرض).

(٦) الكيلاني، ماجد عرسان : أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد والمجتمع، د. ط، فبرجينا : الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧ م، ص ٧٦. (وسيلار إليه فيما بعد هكنا : الكيلاني : أهداف التربية الإسلامية).

٨- حفظ العقل من السواد :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخيروا به الناس، فمن فعل ذلك فالتار النار »^(١). لذلك فإن ابن جماعة أكد على طالب العلم « أن يحافظ على المندوبات الشرعية القولية، والفعلية، فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار »^(٢) وقال : « أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية، وأن علمه وفهمه وجودة ذهنه وقصاحته وغير ذلك فضل من الله عليه وأمانة عنده وهذا كله أساسه العقل السليم »^(٣)، وبين الماوردي أهمية العقل السليم بقوله : إعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه^(٤) والعقل هو العلم بالمدرجات الضرورية، وذلك نوعان أحدهما ما وقع عن درك الحواس والثاني ما كان مبتدأ في النفوس^(٥). وأورد أن الحكماء قالت : « آية العقل سرعة الفهم، وغايته إصافة الوهم، وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن جواب »^(٦). وقال الغزالي : « يجب البدء أولاً بטהارة نفس المتعلم، ثم يأتي دور العقل للنظر في الكون المحيط وفي أسرار النفس وقوانينها، وبهذا يصل إلى الكمال الإنساني »^(٧).

٩- اجتناب التقليد :

أكدت التربة الإسلامية على وجوب اجتناب التقليد غير الواعي، فقد حذر الإمام الغزالي بقوله : « لو كان استمساك المسلمين بدينهم ضرب من التقليد الجهول، أو التعصب الذميم، لكنت أول الناقمين عليه، ولكن المسلمين المتشبهين بدينهم في وجه ضغوط هائلة ومكاند ظاهرة وباطنة، يفعلون ذلك عن وعي سليم واقتناع كريم »^(٨).

(١) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) : سنن ابن ماجة ، بتحقيق محمد فزاد عبدالباقى، د. ط، القاهرة : الناشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٣م، المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ج ١، ص ٩٣، حديث رقم ٢٥٤. (وسبشار إليه فيما بعد هكلا : ابن ماجة : السنن - ٢).

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، ص ٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٤) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٨.

(٦) المرجع السابق، ص ١٢.

(٧) الغزالي : حامد محمد بن محمد الطوسي : ميزان العمل ، تعليق محمد مصطفى أبو العلا، د. ط، القاهرة : الناشر مكتبة الجندي، د. ت، ص ١٢١ - ١٢٢. (وسبشار إليه فيما بعد هكلا الغزالي : ميزان العمل).

(٨) الغزالي ، محمد : جهاد الفريور ، ط ٤، القاهرة : الناشر مكتبة وهبة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٨٨. (وسبشار إليه فيما بعد هكلا، الغزالي : جهاد الفريور).

ثانياً : مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني، وهو : ما القواعد السلوكية القلبية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في سداواة النفوس؟

تكنت الباحثة من الكشف عن (١٢) أنتى عشرة قاعدة سلوكية قلبية، وتناقش هذه النتيجة في ضوء أهمية كل قاعدة في التربية الإسلامية، وكما يلي :

١- الفرح بالرفعة : أكد الزرنوجي على ضرورة أن تقتن الهمة العالية بالجد والمواظبة كما ترتبط بالاهتمام وعدم التهاون في الأمور ^(١)، فعلاً الهمة باعث على التقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة، واستنكاراً لمهانة النطق، روي عن عمر بن الخطاب أنه قال : « لا تصفرن همكم فإني لم أر أقعد المكرمات من صغر الهمم » ^(٢) وقال بعض العلماء : « من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء، لم ينل جسيماً. إذا إعتاد المرء تتبع الآمال والمطامع التي ترد على ذهنه وتقل وجدانه واستغلال هذه اللحظات التي تستعد بها النفس، لتوسيع الوثبة الفاعلة من طريق التأمل، ويحقق الخطوة الأولى لنمو الإرادة ويفتح أمامها الباب لولوج آفاق العظمة الكبرى، والدرجة المثلى، والهدف المنشود، وأن يضع الصيغ التالية ضمن تفكيره : أريد تحصيل الهدوء المستمر، والثبات الصلب، أريد أن أكون معروفاً ومشهوراً ^(٣). وفي ذلك يقول الصناعي الناجح كارينجي : « أنظر إلى الأعالي ولا يسرنك في لحظة من لحظات حياتك أن تكون رئيس ورشة. أو مديراً عاماً، أو رئيس معمل. وليقل كل امرئ في نفسه مكاني في الذروة » ^(٤)، وأضاف « كن ملكاً بأحلامك وأنذر نفسك لبلوغ هذا المنصب، عاملاً على تحصيله حيث لا يلوثه شيء. وأطمع إلى الأعلى باكتساب السمائل والسجايا الملائمة لما تطمح إليه، وليكن مطمحك نبيلاً عالياً، بحيث يدفعك دفعاً إلى الاجتهاد والشغل، ومقاومة الإغراءات، فلا تشعر إلا بالراحة واللذة حتى في النضال والصمود » ^(٥).

(١) عثمان. سيد أحمد : التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي، ط٢، القاهرة : الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٠٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : عثمان : التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي).

(٢) الماوردي : أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، ط٥، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، د.ت. ص ٣٠٧. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الماوردي : أدب الدنيا والدين - ٢).

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٤) السيكولوجية المبسطة، قوة الإرادة، ط٥، بيروت : الناشر منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص ١٩. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : السيكولوجية المبسطة).

(٥) المرجع السابق، ص ٧١.

٢- الحب للغير ما يحب لنفسه : يجسد هذه القاعدة قول رسول الله ﷺ : «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

وقال الغزالي : « وحقوق المسلم جملة هي : » أن تسلم عليه إذا لقيته، وتجببه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»^(٢). كما ربطه الغزالي بالإيمان بقوله : « كلما عملت بالناس كما ترضى لنفسك منهم، لأنه لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه »^(٣).

٣- نهى النفس عن الهوى : من القواعد التي أكد على أهميتها ابن حزم الأندلسي نهى النفس عن الهوى، وتستدل الباحثة على أهمية هذه القاعدة بقوله تعالى : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »^(٤)، ويعود سببه إلى وسخ يكون في القلب، من طمع وحسد وانتصار للنفس، يحجب الرؤية أو يشوشها، كالذي ينظر من وراء زجاجة سوداء، ويتولد من الهوى مرض أخطر منه وهو الإعراض عن الحق، وصاحب الهوى لا يستسلم للحق عندما يعرض عليه ويرده بسبب ذلك الوسخ الذي في قلبه ، لذلك كان هم كل من المريين على مر العصور أن يحذروا أتباعهم من الهوى، فكان علي بن أبي طالب يقول : « إن أخوف ما أخاف عليكم اثنين : طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق »^(٥). وكان قول السلف : « إحدروا من الناس صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه أو يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما أفتنه لكل مفتون »^(٦).

ونهي النفس عن الهوى أن يكون القهر والغلبة لداعي الدين فيرد جيش الهوى مغلولاً، وهذا يصل إليه بدوام الصبر^(٧).

(١) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين بن الفرج أحمد بن علي بن محمد بن علي الكتاني (ت ٨٥٢هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ج١، ص٣٣٠، حديث رقم ٦٩٤٣، مسلم : صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ج١و ص٦٧، حديث رقم ٤٥.

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٩١.

(٣) الغزالي : أيها الولد، ص١٠٨.

(٤) سورة القصص : آية ٥٠.

(٥) البلائي : عبد الحميد : البيان في مداخل الشيطان، ط١، بيروت : الناشر مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠، ص ٥٠. (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : البلائي : البيان في مداخل الشيطان).

(٦) المرجع السابق، ص ٥٠.

(٧) ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ) : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٢، بيروت : الناشر دار الأفاق الجديدة ، ١٩٧٥، ص٢٧. (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين).

إن للعبد داعيان : داع يدعو إلى الله والدار الآخرة، وداع يدعو إلى الدنيا وشهواتها فمعصيان داعي الشهوة والهوى هو الصبر واجابة داعي الله والدار الآخرة هو الشكر ^(١) قال عمر بن عبدالعزيز : « أفضل الجهاد جهاد الهوى » ^(٢) وقال سفيان الثوري : « أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً » ^(٣). وقالت بعض الحكماء : « إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأي من هواه » ^(٤) وقيل: إذا غلب عليك عقلك فهو لك، وإن غلب هواك فهو لعدوك ^(٥). وقال هشام بن عبد الملك ^(٦):

إذا أنت لم تعص الهوى قاذك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

٤- الإخلاص في العمل :

إن الإخلاص في العمل قاعدة سلوكية أكد عليها الله تعالى بقوله : « فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص » ^(٧) وقول رسول الله ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص وعبادته وحده لا شريك له، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » ^(٨).

وبين الغزالي حقيقة الإخلاص حيث أشار إلى « أن الإخلاص يضاده الإشراك، وأن من ليس مخلصاً فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص لابد في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفي وجلي، وكذلك الإخلاص . والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب، وإنما يكون ذلك في القصور والنبات » ^(٩) وبينه ابن القيم الجوزية بقوله : « إن الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة، وقيل تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل : التوخي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، والصدق المنتهى عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر. وقيل الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء يكون ظاهره خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمد من ظاهره » ^(١٠).

(١) ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي (٧٥١هـ) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، د. ط. القاهرة : الناشر مكتبة مصطفى الباهي الحلبي، ١٩٦١، ص ١٦١. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : ابن القيم الجوزية : إغاثة اللفهان).

(٢) (٣) ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ٣، ص ١٣١.

(٤) (٥) (٦) المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٧) سورة الزمر : آية ٢.

(٨) ابن ماجة : السنن، باب الإيمان، ج ٩، ص ٢٧، حديث رقم ٧٠.

(٩) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٣٩.

(١٠) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ٩١.

لذا جاء خوف النبي ﷺ الوارد في قوله : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قال : يا رسول الله، ما الشرك الأصغر، قال : الرياء »^(١).

ومن الأقوال الجيدة في الإخلاص في العمل قول أحد الحكماء : « من عمل سنة دون سنة، لم ينتفع بما يعمل، أولها أن يعمل بالخوف دون الحذر، يعني القول أنني أخاف عذاب الله ولا يحذر من الذنوب فلا ينفعه ذلك القول شيئاً. والثاني أن يعمل بالرجاء دون الطلب، يعني يقول أنني أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة لم تنفعه مقاتلته شيئاً. والثالث بالنية دون القصد، يعني ينوي بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات ولا يقصد بنفسه لم تنفعه نيته شيئاً. والرابع بالدعاء دون الجهد، يعني يدعو الله تعالى. أن يوفقه للخير ولا يجتهد لم ينفعه دعاءه شيئاً. والخامس بالاستغفار دون الندم، يعني يقول أستغفر الله ولا يندم على ما كان منه من الذنوب، لم ينفعه استغفاره. والسادس بالعلانية دون السرية، يعني، يصلح أموره في العلانية، ولا يصلحها في السر لم تنفعه علانيته شيئاً »^(٢).

٥-٦ الخوف من الله ومحبه :

يُعد الخوف من الله تعالى، ومحبه تعالى، من القواعد السلوكية الدالة على الالتزام بأوامره ونواهيه، فقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾^(٣)، وقال تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويعللون ما يؤمرون ﴾^(٤)، وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾^(٥).

وقد كان من خوف أحدهم من الله تعالى ما قاله رسول الله ﷺ أنه : « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله . فقال لأهله : إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائق، ففعلوا به فجمعه الله ثم قال : ما حملك على الذي صنعت؟ قال : ما حملني إلا مخافتك فغفر له »^(٦). أما مقدار الخوف

(١) الخطيب، ولي الدين محمد بن عبدالله العمري : مشكاة المصابيح، ط١، دمشق : الناشر المكتب الإسلامي، د.ت. ، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة ، ص٦٨٧، حديث رقم ٥٣٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الخطيب : مشكاة المصابيح).

(٢) السمرقندي : تنبيه الغافلين، ص٦.

(٣) سورة آل عمران : آية ٣١.

(٤) سورة النحل : آية ٥٠.

(٥) الأنفال : آية ٢.

(٦) البخاري، محمد بن أبي الحسن إساعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ) : صحيح البخاري، د.ط، بيروت : الناشر دار إحياء الكتب العربية، د.ت، كتاب الرقاق، باب الخوف من الله ، ج١، ص٣٧٨، حديث رقم ٦٤٨٠. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : البخاري، صحيح البخاري).

وعلامته فتستنبط من قول الحارث المحاسبي : « إن الخوف من الله تعالى يكون على قدر الذنوب، وأن الرجاء لا يستقيم بلا عمل، وإلا كان المحسن والمسيء في الرجاء سواء، مستندلاً بقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ ^(١). وتكمن علامة الخوف من الله في ترك جميع ما كره الله تعالى ^(٢). وقد بين الغزالي أن الخوف هو ثمرة العلم وشرط الإيمان، قال : « كل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم وأن الله تعالى أمر بالخوف وأوجبه وجعله شرطاً في الإيمان » ^(٣). والخوف من أجل المنازل وأنفعها للقلب ، وأن الخوف الصادق هو ما يباعد صاحبه عن المحارم، قال ابن القيم الجوزية : « إن منزلة الخوف من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، وأن الخوف المحمود الصادق هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل » ^(٤).

ويرى ابن القيم أن الخوف ينشأ عن ثلاثة أمور، هي ^(٥):

١- معرفته بالجناية وعقوبتها.

٢- تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

٣- أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.

وبحسب قوة هذه الأمور وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه، ومن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزاها، وذكر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه التوبة النصوح، هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو . وأما إن كان مستقيماً مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس لعلمه بأن الله تعالى مقلب القلوب ^(٦) أما محبة الله فعلاقتها حفظ الحدود ، فليس بصادق من أدعى محبة الله ولم يحفظ حدوده، وهي صدق المجاهدة في أوامر الله وأن لا يفتر من ذكر الله ولا يأنس بغيره وهي معصية القلب والروح مع المحبوب فإن المرء مع من أحب ^(٧).

(١) سورة الأنفال ، آية ٨.

(٢) المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ) : بدء من أناب إلى الله، لتحقيق مجدي فتحي السبد، ط ١، القاهرة: الناشر دار السلام، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٨١ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : المحاسبي: بدء من أناب إلى الله).

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ١٥٧.

(٤) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ١، ص ٥٤٨ - ٥٥١.

(٥) ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أبوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ) : طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط ١، القاهرة : الناشر المطبعة السلفية، ١٣٧٦هـ، ص ٢٨٣ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن القيم الجوزية : طريق الهجرتين وباب السعادتين).

(٦) المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٧) المرجع السابق، ص ٣١٠.

لقد ذكر الصبر في كثير من آيات القرآن التي تحث عليه وتوضح عظيم الأجر الذي أعده الله تعالى للصابرين، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا مَحَبَّةً وَسَلَامًا ﴾ ^(٢) . وفي السنة وردت أحاديث كثيرة عن الصبر منها أن رسول الله ﷺ قال : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » ^(٣) .

وقد عرّف ابن القيم الصبر بأنه : « حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش » ^(٤) وقال الحسن البصري : « الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبد كريم » ^(٥) . وقد بين ابن الجوزي مكانة الصبر فقال : « ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضى به. فأما الصبر فبعده فرضاً وإنما صعب لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس » ^(٦) . أما فضيلته فتظهر في قول الغزالي : « هو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة، وهي حال تشمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة » ^(٧) . أما الحلم فدليل دوام السماحة، وليس علامة ضعف منه، لكنه إمارة اليقين بأن الله صاحب الحساب والجزاء، وبأن ثوابه الذي أعده للعائين عن الناس خير من لذة الانتقام ^(٨) .

لقد حرص الإسلام على تنقية الضمائر وصحة المودة حتى تكون حياة المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى، وحياة تعاطف وتسامح، وذلك باعتبار أن التسامح هو الطريق الذي يزيد المودة بينهم، ويبعد البغضاء ^(٩) .

(١) سورة الزمر : آية ١٠.

(٢) الفرقان : آية ٧٥.

(٣) النووي : صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن كله خير، ج ٤، ص ٢٩٥، حديث رقم ٢٩٩٩.

(٤) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ص ١٦١.

(٥) المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة : مختصر منهاج القاصدين، تعليق عبد الله اللبشي، د. ط، بيروت : الناشر دار الفكر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٢٥٤ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : المقدسي : مختصر منهاج القاصدين).

(٦) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) : صيد الخاطر، تحقيق محمد الغزالي، د. ط، مصر : الناشر دار الكتب الحديثة، د. ت. ص ٩١ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن الجوزي : صيد الخاطر).

(٧) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٦٧.

(٨) الشيباني، عمر محمد التومي : من أسس التربية الإسلامية، ط ١، طرابلس : الناشر المنشأة العامة، ١٩٧٩ م، ص ١٤٢. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الشيباني : من أسس التربية الإسلامية).

(٩) المرجع السابق، ص ١٤٢.

١١- اجتناب إظهار الجزع :

إن كفاية الشدائد والمصائب هو الصبر في المواطن كلها، وذلك لتحقيق أمرين أحدهما : الوصول إلى العبادة وحصول المقصود منها، فإن مبنى العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات، فمن لم يكن صبوراً لم يصل إلى شيء منها بالحقيقة، وذلك أن من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها محققاً، استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه، أحدهما : أنه لا عبادة إلا وفي نفسها مشقة. ولذلك كان كل هذا الترغيب فيه، ووعد الثواب عليه، إذ لا يتأتى فعل العبادة إلا بقمع الهوى، وقهر النفس، إذ هي زاجرة عن الخير. والثاني : أن الدار دار محنة، فمن كان فيها فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها، فمنها : المصيبة في الأهل والقربات والأخوان والأصحاب بالموت والفقد والفرق، وفي النفس بأنواع الأمراض والأوجاع، وفي العرض بقتال الناس إياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه، وفي المال بالذهاب والزوال. ولكل واحد من هذه المصائب لذعة وحرقة من نوع غير نوع الآخر، فيحتاج إلى الصبر عليها كلها ، وإلا فيمنعه الجزع من التفرغ للعبادة ^(١).

١٢- الاعتدال في الحب والبغض :

ينبغي على كل أحد أن يتوخى الإفراط في محبته، فإن الإفراط داع إلى التقصير، ولأن تكون الحال بينهما نامية، أولى من أن تكون متناهية ^(٢)، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ : « أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » ^(٣). إن التعاطب بين المؤمنين مطلوب في الشرع، محبوب في الدين ^(٤)، وكل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب، وإنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة ^(٥) ويجدر التأكيد هنا على أن من معاني الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت مع الصديق ^(٦).

(١) الفزالي: منهاج العابدين، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ١٧٧.

(٣) الترمذي : عارضة الأخوذي بشرح صحيح الترمذي، د. ط، بيروت : الناشر : مكتبة المعارف، د. ت، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحب والبغض، ج ٧، ص ١٦٢. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الترمذي : عارضة الأخوذي بشرح صحيح الترمذي).

(٤) الفزالي : إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٧٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٦) المرجع السابق، ص ١٨٤.

ثالثاً : مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث، وهو : ما القواعد السلوكية الخلقية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تكنت الباحثة من الكشف عن (٢٤) أربع وعشرين قاعدة سلوكية خلقية، وتناقش هذه النتيجة في ضوء أهمية كل قاعدة في التربية الإسلامية، وكما يلي :

١-الوفاء :

إن الوفاء صفة من صفات المؤمنين، قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ ^(١).

ووجب على المسلم إذا أبرم عقداً الوفاء به، وإذا أعطى عهداً أن يلتزمه، وفي ذلك قال الغزالي : «العهد لابد من الوفاء به، كما أن اليمين لابد من البر بها. ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير وإلا فلا عهد في عصيان ولا يمين في مآثم» ^(٢). والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين، إذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به، فإن الله أخذ على آدم عهداً مؤكداً ألا يقرب الشجرة المحرمة، لكن آدم ما لبث أن نسي وضعف، ثم نكث في عهده، قال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ ^{(٣) (٤)}.

والمعهد التي يرتبط بها درجات، فأعلاها مكانة وأقدسها زمانا العهد الأعظم الذي بينه رب العالمين؛ فإن الله خلق الإنسان بقدرته ، وحياء بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة وأن يعترف بها، وألا تشرد به المغريات فليجهلها أو يجهدها، قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن أعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ ^{(٥) (٦)}.

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٣.

(٢) الغزالي ، محمد : خلق المسلم، ط٧، القاهرة : الناشر دار الكتب الحديثة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص١٦٢ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : الغزالي : خلق المسلم).

(٣) سورة طه : آية ١١٥.

(٤) الغزالي : خلق المسلم، ص٦٣.

(٥) سورة يس : الآيات ٦٠ - ٦١.

(٦) الغزالي : خلق المسلم، ص٦٥.

٢- الصدق :

أكد الله تعالى على المؤمنين أن يكونوا من الصادقين، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ^(١). وفي السنة النبوية عدد من الأحاديث التي تشير إلى فضل الصدق والصادقين، منها أن النبي ﷺ قال : « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » ^(٢).

وقد ميز الماوردي بين الصدق والكذب بقوله : « إن الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه. أما الكذب فهو الإخبار عن الشيء بخلاف مؤكده، والكذب يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع » ^(٣).

وقد حدد الإمام الغزالي مراتب الصدق، وهي ^(٤) :

الصدق الأول : صدق اللسان، ولا يكون إلا في الإخبار، ويدخل فيه الوفاء بالوعد ، والخلف فيه، وهذا النوع هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها.

الصدق الثاني : في النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص.

الصدق الثالث : صدق العزم.

الصدق الرابع : الوفاء بالعزم.

الصدق الخامس : في الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به.

الصدق السادس : في مقامات الدين وهو أعلى الدرجات وأعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور.

(١) سورة التوبة : آية ١٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ، ج ١، ص ٥٠٧، حديث رقم ٦٠٩٤. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري).

(٣) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٤.

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤١٣.

وقد أشار ابن القيم الجوزية إلى أهمية الصديق بقوله : « بالصدق يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في الأرض الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، ومن صال به لم ترد صولته »^(١).

٣-٤ الكلف في الرضا والغضب :

وردت في القرآن الكثير من الآيات التي تنهى عن الغضب، لأنه من الشيطان، قال تعالى : ﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ والله يحب المحسنين^(٢). وقد أكد رسول الله ﷺ على أهمية اجتناب الغضب بقوله : « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(٣). وقد ذمه الرسول ﷺ لنفسه، ولكنه امتدحه إذا انتهكت محارم الله، فكان يغضب حتى تحمر عيناه وتنتفخ لذلك، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾^(٤) والغضب الذي لا تعصمه التقوى، ولا تحده مبادئ يلتزم بها الإنسان، ويأخذ بها نفسه خوفاً من الله تعالى ورغبة في رضاه ومشوئته داء وبيل وشر لا حدود لآثاره ونتائجه، خصوصاً حين يكون الغاضب ذا سلطة مستمدة من غناؤه أو من منصبه أو منهما معاً، ولا رادع له من إجرام، ولا مانع من استيراد أو ظلم أو جبروت، يستدل به رقاب الناس^(٥). وعلاج الغضب حتى تجتث أصوله وتقتلع من النفس جذوره أمر غير ممكن بالنسبة للإنسان السوي، وإنما العلاج الممكن : هو علاج آثار الغضب، بمعنى إيقاف الغضبان عند حدود الله ، إشعاره بالأخطار التي تكمن وراء انسياقه تبعاً لغضبه، ومحاولة ترويض النفس، والترغيب والترهيب ومجالسة العلماء والحكماء والإكثار من صالحى القرناء وخيار الأصدقاء، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن، والنظر في أسباب الغضب العميقة في النفس من أجل علاجها^(٦). حيث أن الغضب غريزة في الإنسان فلا

(١) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤.

(٣) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب الخلل من الغضب، ص ٥١٨، حديث رقم ١١٤.

(٤) سورة الشورى : آية ١٣٩.

(٥) عبدالرحيم ، محمد كامل : شفاء القلوب ، د. ط، القاهرة : الناشر : مكتبة عالم الكتب، ١٩٥٠، ص ٦٠٦. (وسيلار إليه فيما بعد هكذا : محمد كامل، شفاء القلوب).

(٦) أيوب ، حسن : السلوك الاجتماعي في الإسلام، ط ٢، القاهرة : الناشر دار البحوث العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٧٤. (وسيلار إليه فيما بعد هكذا : أيوب : السلوك الاجتماعي في الإسلام).

يذم ولا يمزح إلا من جهة آثاره ^(١) . وهو شعلة من النار، وأن الإنسان لينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين حيث قال تعالى : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ^(٢) فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظى والاشتعال والحركة والاضطراب ^(٣) ومن نتائجه الحقد والحسد، ولأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام ^(٤) .

أما الرضا فهو علامة المؤمن، قال عليه السلام : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً » ^(٥) وقال « الجنيد الرضي هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فإن باشر حقيقة العلم أداء إلى الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فإنهما حالان لا يفارقان العبد في الدنيا والآخرة لأنه في الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة » ^(٦) . وقال ابن عطا : « الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به وهو ترك السخط » ^(٧) . وقال أبو تراب : « ليس ينال الرضا من الله في الدنيا من في قلبه مقدار » ^(٨) ، وقال الشبلي بين يدي الجنيد : « لا حول ولا قوة إلا بالله، قال : قولك هذا إذا ضيق صدر، فقال : صدقت، قال : ضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء ، وهذا قاله الجنيد تنبيهاً منه على أصل الرضا وذلك لأن الرضا يحصل لانشراف القلب وانقسامه » ^(٩) والقناعة والزهد يعنيان رضا الشخص بما عنده، وبما قدره له الله، وما أعطاه من رزق، وعدم تطلعه إلى اكتساب أشياء فوق قدراته وإمكاناته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية ^(١٠) . قيل ليحيى بن معاذ : « متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟ فقال إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول : إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت » ^(١١) وقال الجنيد : « الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب وليس من شرط الرضا ألا يحسب بالألم والمكاره، بل ألا

(١) أبو ب : السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٧٥.

(٢) سورة الأعراف : آية ١٣.

(٣) المقدسي : مختصر منهاج القاصدين، ص ١٦٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٥) الغزالي : روضة الطالبين، ص ١٧٣.

(٦) المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٧) المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٨) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٩) الشبلي : من أسس التربية الإسلامية، طرابلس : ص ١٥٤.

(١٠) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٨٢.

(١١) المرجع السابق، ص ١٨٣.

يعترف على الحكم ولا يسخطه، وطريق الرضا مختصرة قريبة جداً موصلة إلى أجل غاية ولكن فيها مشقة، ولكن ليست بأصعب من مشقة المجاهدة»^(١).

٥- اجتناب الطمع :

حذرت كثير من الآيات القرآنية الإنسان من البخل أو الشح عن الإنفاق لله، ومنها : قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا! أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾^(٢).

وفي السنة فقد قال ﴿ ﷺ ﴾ : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق »^(٣). إن المال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعني من الأدهى، إما لشدة حرصه، أو تناوله من غير حله، أو حبسه عن حقه، أو إخراجه من غير وجهه، أو المغامرة به، ولهذا قال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾^(٤) ^(٥).

إنَّ للمال آفات دينية ودنيوية منها^(٦) :

١- أنه يجر إلى المعاصي غالباً.

٢- إنه يحرك إلى التمتع في المباحات.

٣- أنه يلهي عن ذكر الله . لذا حذر رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ من الطمع بقوله : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه »^(٧).

٦- الحسد : إن الحسد آفة خطيرة، يظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر التفتات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد ﴾^(٨). وقال ﴿ ﷺ ﴾ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله أخوانا »^(٩).

(١) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٤.

(٣) الترمذي : السنن ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في البخل، ج ٤، ص ٣٤٣، حديث رقم ١٩٦٢.

(٤) الأنفال : آية ٢٨.

(٥) المقدسي : مختصر منهاج القاصدين، ص ٨٤.

(٦) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٧) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة ، ج ١، ص ٧٣، حديث رقم ١٠٥٤.

(٨) سورة الفلق ، آية ١-٥.

(٩) المسقلائي : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتباير، ج ١٠، ص ٥٨٩، حديث رقم ٦٠٦٤.

أما حقيقة الحسد فقد أوضحها الماوردي بقوله أنها : «شدة الأسى على ما يكون للناس الأفاضل من الخيرات، وهو غير المنافسة، وقد يغلط قوم أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا، لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليه. أما الحسد فهو مصروف على الضرر لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له» (١). كما ذكر المحاسبي : « أن الحسد وجهين، أحدهما: غير محرم، بعضه فضل، وبعضه فرض، وبعضه مباح، وبعضه يخرج إلى نقص وحرام. وأما الوجه الآخر فمحرم كله، فلا يخرج إلا إلى ما لا يحل . فالحسد الذي يحرم المنافسة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (٢). وقد فسر الحسد الذي هو منافسة تفسيراً يميز بينه وبين الحسد المحرم» (٣). والحسد مرض اجتماعي خطير له آثار سيئة تلحق بالحاسد، وتؤثر في معاملته لمن يحسده. ويتولد من الحسد الحقد فلا تهدأ نفس الحاسد الحاقداً حتى ينتقم من المحسود (٤) وحرمة الحسد ثابتة بالكتاب والسنة، وهو من صفات المنافقين، لأنهم لا يحتملون أن يروا نعمة الله على أخوانهم، قال تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم حداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق ﴾ (٥).

٧- حسن الخلق :

حث رسول الله ﷺ على حسن الخلق فقال : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق » (٦). وقد كان رسول الله ﷺ أحب الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٧). وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » أي كان متمسكاً بأدابه وأوامره ونواهيه (٨).

إن من حسن خلقه أو ساء فإنما دليل على حسن دين أو سوء قال الفضيل بن عياض : « من ساء خلقه ساء دينه » (٩). ومن فوائد حسن الخلق ما أفصح عنه رسول الله ﷺ حين قال : « حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان الأعمار » (١٠). وقصّل الماوردي في فوائد حسن الخلق بقوله : « إذا حسنت

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢٦١.

(٢) سورة الواقعة ، آية ٢٦.

(٣) المحاسبي : الرعاية لحقوق الله، ص ٥٧.

(٤) أيوب : السلوك الاجتماعي، ص ٨٧.

(٥) سورة البقرة : آية ١٠٩.

(٦) العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، ج ١٠، ص ٤٥٧، حديث رقم ٦٠٣٨.

(٧) ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية، ص ٢٠٥.

(٨) المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٩) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(١٠) الألباني، محمد ناصر الدين، ج ٢، ص ١٥٦.

أخلاق المرء كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب»^(١).
وحسن الخلق يدل على كمال الإنسان، فقد ذكر ابن أبي الدنيا: «أن من تمام الإنسان وكماله أن يكون
جامعاً لمحاسن الأخلاق متنزهاً عن مساوئها»^(٢).

٨- اجتناب اللهو:

قال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا
تعلقون﴾^(٣).

وحذر الجاحظ من مضار اللهو والمزاح بقوله: «واقصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب بالبهاء
ويجري عليك أهل الدناءة»^(٤) وأضاف: «ولا يدعونك كفر كافر لبعض نعمك ممن آثر هواه على دينه
ومروءته»^(٥). وأضاف ابن الجوزي بقوله: «إعلم وفقك الله أن النفس مجبولة على حب الهوى فافتقرت
لذلك إلى المجاهدة والمخالفة ومتى لم تزجر عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به فاستأنست
بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة والأمانى العجيبة خصوصاً إن ساعد الشباب الذي هو شعبة من
الجنون»^(٦) لذلك فقد وصف رسول الله ﷺ من قدر على نفسه بالكيس، فقال: «الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع هواها وتقى على الله»^(٧).

٩- الشجاعة:

لعل ما ورد على لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قول دليل شجاعة وبأس، حيث
قال: «أيها الناس إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة
في فراشي»^(٨).

(١) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢١٦.

(٢) ابن أبي الدنيا، أبي زكريا، يحيى بن عدي: مكارم الأخلاق، تحقيق محمد عبدالقادر، ط ١، بيروت: الناشر دار الكتب العلمية،
١٩٨٩م، ص ٢٣٠. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا: ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق).

(٣) الأنفال: آية ٣٢.

(٤) الجاحظ، أبي عثمان بن عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ السياسية، تحقيق محمد عبدالسلام محمد هارون، د. ط، القاهرة: الناشر
مكتبة الخانجي، ١٣٨٤-١٩١٥م، ج ١، ص ١٢٨. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا: الجاحظ: الرسائل).

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠.

(٦) ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن (ت ٥٩٧هـ): ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، د. ط، القاهرة: الناشر دار الكتب
الحديثة، د. ت، ص ١٠. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا: الجوزي: ذم الهوى).

(٧) ابن ماجه: السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ج ٢، ص ١٤٢٣، حديث رقم ٤٢٦.

(٨) الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٧٠.

ويبتين حدّ الشجاعة بقول الجاحظ : واعلم أن الجبن جبنان، والشجاعة شجاعتان، وليست تكون الشجاعة إلا في كل أمر لا يدري ما عاقبته يخاطر فيه بالأنفس والأموال، فإذا أردت الحزم في ذلك فلا تشجعن نفسك على أمر أبداً إلا والذي ترجو من نفعه في العاقبة أعظم مما تبذل فيه في المستقبل»^(١). وأضاف: «ها هنا موضع يحتاج فيه إلى النظر فإن كان ذلك أمراً واجباً في الدين أو خوفاً لعار تسب به الأعتاب، فأنت معذور بالمخاطرة فيه بنفسك، وإلا فالإقدام على مثل هذا ليس بشجاعة ولكن حماقة بينة عند الحكماء»^(٢) وقالوا : « لا تخرج الأمر كله من يدك، وخذ بأحد جانبيه، ثم الشجاعة والجبن في ذلك بقدر الحالات والأوقات»^(٣). فالشجاعة إن اعتبرت وهي من النفس فهي فصرامة القلب على الأهوال وريط الجأش في المخاوف، وإن اعتبرت بالفعل والرقدام في موضع الفرصة، وهي فضيلة بين التهور والجبن، وتولدها من الغضب والفرع إذا كانا متوسطين»^(٤).

١٠- المروءة:

أبان الحسن بن علي بن أبي طالب المروءة بقوله : «أما المروءة حفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه، وحسن قيامه بمصنفته، وترك المنازعة، وإفشاء السلام»^(٥). وأضاف الأحنف بن قيس إلى ما قاله الحسن : «التفقه في الدين، وبر الوالدين، والصبر على النوائب»^(٦) وهي من شواهد الفضل ودلائل الكرم، قال الماوردي: «اعلم أن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التي هي حلبة النفوس، وزينة الهمم، فالمروءة مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق»^(٧). أما كمالها، فعن رسول الله ﷺ أنه قال : «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته»^{(٨) (٩)}.

(١) الجاحظ : الرسائل، ج ١، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٤) الأصلهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل : الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق طه عبدالرؤف سعد، ط ١، القاهرة : الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ص ١٦٩. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الإصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة).

(٥) ابن مفلح : الأدب الشرعية والفتح المربع، ص ٢٢٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٧) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٨.

(٨) الأصلهاني، أبو نعم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ) : تاريخ أصبهان، د. ط، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، د. ت، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٩) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٨.

أما حقيقة المروءة عند ابن القيم الجوزية فهي : « اتصاف النفس بصفات الإنسان الذي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم، فإن في النفس ثلاثة دواعي متجاذبة : داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الحسد والغلو والبغي والأذى والفساد والغش، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة، فحقيقة المروءة بغض ذينك الداعين وإجابة الداعي الثالث والمروءة استعمال كل خلق حسن وترك كل خلق قبيح، وحقيقة المروءة تجنب الدنيا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأعمال »^(١).

١١-الأمانة:

أكد الله تعالى على المؤمنين وجوب الأمانة، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾^(٢).

ونفى رسول الله ﷺ صفة الإيثار عن يخون الأمانة فقال : « لا إيمان لم لا أمانة له »^(٣).

إن الأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معاني شتى، مناطها جميعاً شعور كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول أمام ربه، على النحو الذي فصله الحديث الكريم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته، والخدام في مال سيده راع فهو مسئول عنه رعيته » والعوام يقتضرون الأمانة في أضييق معانيها وآخرها ترتيباً، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل. وأنها الفريضة التي يتوصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها. ولما كانت السعادة القصوى أن يوفى الإنسان شقاء العيش في الدنيا وسوء المنقلب في الآخرة، فإن رسول الله ﷺ جمع في استعاذته بين الحالين معاً، إذ قال : « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه يثس الفجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنه يثس البطانة » فالجوع ضياع الدنيا والخيانة ضياع الدين . وكان رسول الله ﷺ في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين^(٤).

(١) ابن القيم الجوزية : منازع السالكين، ص ١٩٧.

(٢) سورة الأنفال : آية ٢٧.

(٣) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال الشيباني (ت ٢٤١هـ) : مسند أحمد بن حنبل، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، القاهرة : الناشر دار الحديث ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٤٠٦، حديث رقم ٨٧٢٨.

(٤) الفزالي : خلق المسلم، ص ٤٥ - ٥٠.

وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لاهنتي الرجل الصالح ورفق بهما واحترم أنوثتهما وكسان معهما عفيفاً شريفاً^(١). قال تعالى : ﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾^(٢) ويحذر ابن حجر الهيثمي من التفريط في حقوق المجالس بقوله : « إن من الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها بعدم إفشاء أسرارها وبرد اعتبارها »^(٣).

١٢- العفو:

يُعدّ العفو من القواعد الخلقية التي يتصف بها المحسنون من الناس، قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾^(٤). ومن عفو رسول الله ﷺ عفو عن أهل مكة لما أمكنه الله منهم، فقال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وقال عقبة بن عامر - رضي الله عنه - لقيت رسول الله أخبرني بفواصل الأعمال فقال : « يا عقبة : صل من قطعك، واعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك »^(٥).

وللعفو عند المقدرة فوائد عظيمة، فمن ذلك^(٦):

١- رضا الله ، وهو المقصد الأول والمطلوب.

٢- كسب أصدقاء جدد.

٣- ثناء الناس وتوقيرهم وإجلالهم لصاحب العفو.

٤- لعل صاحب العفو يقع في خطأ فيناله مثلما حفل من العفو مستحب إذا لم تترب عليه مفسدة في الدين والمجتمع، أما إذا تربت عليه مفسدة، فإنه حينئذ لا يجوز العفو ، وذلك لما قرره من أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

(١) الغزالي ، : خلق المسلم، ص ٤٥ - ٥٠.

(٢) سورة القصص : آية ٢٦.

(٣) ابن حجر الهيثمي، نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سلمان الشافعي (ت ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق العراقي، د. ط ، القاهرة : الناشر مكتبة القدس ١٣٥٣، ص ٩٨. (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : ابن حجر الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد).

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٩٩.

(٥) العبادي، عبدالله عبدالرحيم : من الآداب والأخلاق الإسلامية، د. ط، بيروت : الناشر المكتب العربي، د. ت، ص ٣٠٠. (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : العبادي ، من الأخلاق والآداب الإسلامية).

(٦) المرجع السابق، ص ٣٠٠.

يُعدّ الحياء شعبة من شعب الإيمان، قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »^(١). وهو « انقباض النفس عن القباتح، وهو من خصائص الإنسان، وجعله الله سبحانه في الإنسان يرتدع به عما ينتزع إليه الشهوة من القباتح فلا يكون كالبهيمة، وهو مركب من جبن وعفة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً ولا الفاسق مستحيًا، يتنافى اجتماع العفة والفسق »^(٢) وهو إمارة صادقة على طبيعة الإنسان، فهو يكشف عن قيمة إيمانية ، ومقدار أدبه. وعندما نرى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي، أو نرى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق ، فاعلم أنه حي الضمير، نقي المعدن زكي العنصر . وإذا رأيت الشخص ضعيفاً، بليد الشعور، لا يبالي ما يأخذ أو يترك فهو امرء لا خير فيه، وليس له من الحياة وازع يعصمه عن اقتتراف الآثام وارتكاب الدنيايا. وقد أوصى الإسلام أبناءه بالحياء وجعل هذا الخلق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل^(٣).

والحياء على وجوه هي^(٤) :

- ١- حياة الجنابة، كآدم عليه السلام، لما قيل له افرأنا منا، فقال : لا بل حياء منك.
- ٢- حياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياء من الله عز وجل.
- ٣- حياء التقصير ، كالملائكة يقولون ، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.
- ٤- حياء الكرم كالتبى ﷺ من أمته أن يقول لهم : « أخرجوا فقال الله - عز وجل - « ولا مستأنس لحديث »^(٥).

(١) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالحاقي ، د.ط، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. ج ١، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، ص٣، حديث رقم ٣٥. (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : صحيح مسلم)

(٢) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٤٥.

(٣) الفزالي : خلق المسلم، ص٢٧١.

(٤) القشيري : أبي القاسم بن هرزان : الرسالة القشيرية . تحقيق عبدالحليم محمود، د.ط، القاهرة : الناشر دار الكتب الحديثة، د.ط، ج٢، ص٤٥٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : القشيري : الرسالة القشيرية).

(٥) المعجرات : آية ١٠٢.

إن كثيراً من الظنون السيئة تدخل في باب الحرام، لأن الإنسان لا يعرف دواخل غيره، ولا يعلم ما في الضمائر إلا الله تعالى، لذلك جاء قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾^(١) وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تذاهروا، وكونوا عباد الله إخواناً »^(٢).

وسوء الظن الذي هو إثم وذنب هو الذي يتوفر فيه ما يأتي^(٣):

١- أن يكون من يساء به الظن مسلماً.

٢- أن يستقر سوء الظن في النفس، وتصير التهمة التي ألحق المسلم أخاه بها شيئاً ثابتاً يترتب عليه أن يعامل المسلم أخاه حسبما استقر في نفسه من ظن السوء به.

٣- أن يكون المتهم الذي يساء به الظن ظاهر الصلاح والعدالة بمعنى أنه غير مرتكب كبيرة، ولا مصر على صغيرة. وإن كان ظن السوء حديث نفس عابراً غير مستقر، كشيء خطر في بال الإنسان ثم تلاشى ولم يستقر فإنه لا شيء فيه. وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك بسوء الظن بالمسلمين^(٤). وقد عرّف الإمام النووي الظن السوء بأنه : « عقد القلب وحكمه على غيرك بالسوء، فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر عليه صاحب فمعفو عنه باتفاق العلماء لأنه لا اختبار في وقوعه، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل »^{(٥)(٦)}.

وعلاج الظن بأن توقن أنه ليس لك أن تظن بالمسلم شراً، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته، وتدعوله بالخير، فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك خاطر السوء خيفة من إشغالك بالدعاء والمراعاة، وإذا تحققت هفوة مسلم فانصحه في السر^(٧).

(١) سورة الحجرات ، آية ١٠٢.

(٢) ابن العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ما أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، ج ١٠، ص ٤٨٤، حديث رقم ٦٠٦٦.

(٣) أبوب : السلوك الاجتماعي، ص ٩٢.

(٤) المرجع : ص ٩٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ٣٨٨، حديث رقم ٥٠٦٤، مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ج ٤، ص ١١٦، حديث رقم ٢٠٢.

(٦) النووي، يحيى بن شرف بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي (ت ٦٧٦هـ) : الأذكار من كلام سيد الأبرار، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، د. طو دمشق : الناشر مطبعة الملاح، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ٧٠٦ (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : النووي : الأذكار).

(٧) المنقسي : منهاج القاصدين، ١٦٢.

١٥- حبّ الذكر الذي يقرب من الله ويكسب فضيلة :

وقد نبّه الفضيل بن عياض أن : « علامة الزهد في الناس إذا لم يجب ثناء الناس عليه ولم يبال بمذمتهم وإن قسدت أن لا تعرف فافعل، وما عليك، ألا يثنى عليك، وما عليك إنك مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله عز وجل ، ومن أحب أن يذكر لم يذكر »^(١). وحذر سفيان الثوري من ابتلي بالشهرة من الفتنة، فقال : « من بلي بالشهرة لم يأمن أن يفتنوه »^(٢).

١٦- التواضع :

حثّ رسول الله ﷺ الإنسان أن يتواضع لله لما فيه من رفعة درجة، فقال : « من يتواضع لله سبحانه وتعالى درجة يرفعه الله به درجة ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله به درجة حتى يجعله أسفل السافلين »^(٣).

ويعرّف التواضع بأنه : « رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته، وفضيلته لا تكاد تظهر في بعض أنواع الانحطاط درجاتهم، وإنما تتبين في الملوك وأجلّاء الناس وعلماهم، وهو من باب التفضيل لأنه ترك بعض حقه، وهو من التوسط بين الكبر والضعفة، فالضعفة وضع الإنسان نفسه مكاناً يزرى به بتضييع حقه، والفرق بين التواضع والخشوع يقال باعتبار أفعاء الجوارح »^(٤). وقد وصف ابن القيم الجوزية تواضع رسول الله ﷺ فقال : « كان رسول الله ﷺ هين المونة ، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً في غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم »^(٥). والحال الذي يكون عليه بعض الناس وصفها الحارث المحاسبي بقوله : « فمتى زایل الإشفاق والرجل قلبك، ونظرت إلى غيرك بالإزدراء والسخرية والأنفة منه، وأنت خير منه، من غير حذر ولا خوف لسوء العاقبة، أو رددت عليه حقاً آنفاً أن تقبل منه أو منعتة حقاً يجب له عليك كصلة رحم فقد تكبرت عليه »^(٦).

(١) ابن مفلح : الأداب الشرعية والمنح المرعية، ص ٢٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٣) ابن ماجه : السنن، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، ج ٢، ص ٢٠٣، حديث رقم ٤٨٩٥.

(٤) الأصفهاني : الدرعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٩٩.

(٥) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٦) المحاسبي : الرعاية لحقوق الله، ص ٥٠٢.

١٧- حفظ اللسان :

تظهر أهمية حفظ اللسان في قوله تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(١) وجعله رسول الله ﷺ من صفات المؤمنين بقوله : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت »^(٢). وبه أوصى رسول الله ﷺ معاذ لما بعثه إلى اليمن فقال : « يا نبي الله أوصني ؟ فأشار إلى لسانه ، يعني عليك بحفظ لسانك، فكانه تهاون به. فقال : « يا نبي الله أوصني، قال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم »^(٣).

ففي حفظ اللسان حرز من الشيطان ، فقد ذكر عن لقمان الحكيم أنه قيل له ما بلغ بك ما نرى قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني^(٤) وحفظ اللسان حفظ من الكلام الحرام أو المكروه، قال النووي : « ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه »^(٥). فاللسان مفتاح الضمائر والسرائر، قال الماوردي : « الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوارده، ولا يقدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من ذلك بالإمساك عنه أو الإقلال منه »^(٦).

١٨- الكف عن الإساءة :

أكد رسول الله ﷺ على كل أحد، خاصة الكبراء والرؤساء، أهمية الكف عن الإساءة بقوله : « من كافأ بالإساءة على الإحسان فهو لغير رشده، ومن كافأ عن الإساءة بالإحسان فهو ولد رشده، فاصطنعوا البر يا معشر الكبراء وجماعة الرؤساء وقاكم الله الأسواء إلى خلق الله تبارك وتعالى آدمياً كان أو بهيمة فما ضاع عرف بين الله تعالى وبين الناس »^(٧).

(١) سورة ق : آية ١٨.

(٢) ابن حجر السقلاطي : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ج ١٠، ص ٥٤٨.

حديث رقم ٦١٣٦، النووي : صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ج ٢، ص ٢٠.

(٣) السمرقندي : تنبيه الغافلين، ص ١٣٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٥) النووي : الأذكار، ص ٢٨٤.

(٦) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢٤٧.

(٧) الخوارزمي ، جمال الدين أبي بكر : مفيد العلوم ومبهد الهموم، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، د. ط، قطر : الناشر وزارة الشؤون الدينية، ١٩٨٠، ص ٣٣٣. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : الخوارزمي : مفيد العلوم ومبهد الهموم).

١٩- التأدب في مجلس العلم :

إنَّ التأدب في مجلس العلم فيه كسب لمودة العالم، وفيه نفع في الدنيا والآخرة، فنجد ابن جماعة يحث طالب العلم على « أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافتها على أحسن تأويل ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار أبقى لمودة الشيخ وأحفظ لقلبه وأنفع للطالب في دنياه وآخرته »^(١) كما تظهر أهمية التأدب في مجلس العلم بما يناله طالب العلم من العلم والانتفاع به^(٢). وفي ذلك قال الماوردي: « اعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه ملقاً وتذلاً إن استعملها غنم وإن تركها حرم لأن التملق للعالم لم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنوناته الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار »^(٣) وقال النووي: « إن من حق العالم على المتعلم في مجلس العلم أن يسلم على القوم عامة ويخصه بالتحية، وأن يجلس أمامه ولا يشير عنده بيده، ولا يفمزن عنده أحد بعينه، ولا تقولن قال فلان خلاف قوله، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تسار في مجلسه، ولا تأخذ بشويه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبتته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء »^(٤).

٢٠- العفة :

العفة قاعدة خلقية قرآنية، قال تعالى: « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنهم الله من فضله »^(٥). وقد حذر أبوبكر الرازي من الشهوة فقال: « إعلم أن الشهوة مادة كل فتنة، ومنبع كل فساد، وهي بذرة شجرة الجحمانية، وهي من هائل الشيطان، وهي الدركة السفلى من صفات البشرية »^(٦).

إنَّ العفة من معاني القناعة^(٧)، وهي نوعان^(٨):

الأول: العفة عن المحارم.

الثاني: العفة عن المآثم، وهو نوعان، أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام. والثاني: كف اللسان عن الأعراض. وقد جعلها المغيرة بن شعبه المروعة فقال: « هي العفة عما حرم الله تعالى »^(٩).

(١) ابن جماعة، بدر الدين إبراهيم سعد الله (ت ٧٣٣هـ): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص ٨٥.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص ١٦.

(٣) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٥١.

(٤) النووي: أبي زكريا يحيى: كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم، بتحقيق عبدالله بدران، ط ١، بيروت: الناشر دار الخير، ١٩٩٣م، ص ٥٥. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: النووي: كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم).

(٥) سورة النور: آية ٣٣.

(٦) الرازي، أبوبكر بن عبدالله بن شاهاور: منارات الساترين ومقامات الطائرين، بتحقيق سعيد عبدالفتاح، ط ١، القاهرة: دار سعاد الصباح، ١٩٣٣م، ص ٢٢٤. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: الرازي: منارات الساترين).

(٧) الشيباني: من أسس التربية الإسلامية، ص ١٤٢.

(٨) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣١.

(٩) المرجع السابق، ص ٣١٠.

٢١- الاعتدال والتوسط :

ميز الله الأمة الإسلامية بالوسطية، قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ ^(١) . ووجه رسول الله ﷺ « الأمة إلى ضرورة الأخذ بمبدأ التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، ومطالب الروح والجسد، وكان جيل الصحابة مثلاً لحسن الاتباع وحسن الأداء المتوازن » ^(٢) .

٢٢- الثبات على الحق :

لعل خير دليل على وجوب الثبات على الحق وأهميته ما كان من حال المسلمين حين ضعفوا فأجابهم رسول الله ﷺ « بما كان من حال الأمم السابقة حين ثبتت على الحق : « كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون » ^(٣) .

قال ابن عباس في ثبات المسلمين : « واودوا حتى نشروا بالمناشير وفرقوا بالنار ، حتى أتاها نصر الله بتعليم من كذبهم » ^(٤) . فالثقة والثبات تعني التسليم بقضائيه والاستسلام لمشيئته، والتعاسك والمقاومة ^(٥) .

٢٣- درء العيب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر ربه » ^(٦) . من هنا قال الجاحظ : « ومن شأن

(١) سورة البقرة : آية ١٤٣ .

(٢) عبدالحق ، عبدالرحمن : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، ط٢ ، الكويت : الناشر مكتبة ابن تيمية ، د.ت. ، ص ٣٠ .

(٣) ابن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ط٢ ، بيروت : الناشر دار سنحون ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ج ٥ ، ص ٩ - ١٠ ، ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ج ١٢ ، ص ٣٣٠ ، حديث رقم ٦٩٤٣ .

(٤) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، ط١ ، دمشق ، الناشر المكتب الإسلامي ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، ج ٣ ، ص ٣٠ .

(٥) فائز أحمد : طريق الدعوة في ظلال القرآن ، د.ط. ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت. ، ص ٢٠٠ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : فائز : طريق الدعوة في ظلال القرآن) .

(٦) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤٦٨ ، حديث رقم ٦٠٦٩ .

الصدر، على أنه ليس وعاء للإجرام وإنما يصير بمقدرة من الله لا يعرف العباد كيف هي ، أن يضيق بما فيه ويستثقل ما حمل منه فيستريح إلى نبذه، ويلذ إلقائه على اللسان، ثم لا يكاد يشفيه أن يخاطب به نفسه في خلواته حتى يفضي به إلى غيره ممن لا يرعاه ولا يحوطه^(١) . ويرى الهيثمي أن من أرتكب معصية يجب عليه أن يستر على نفسه بأن لا يظهرها^(٢) . ومما للمسلم على المسلم : « أن يستر عورته، ويغفر زلته، ويرحم عبرته^(٣) . وقال رسول الله ﷺ : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه الله بها في بيته^(٤) » .

٢٤- الغيرة:

في الغيرة قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ ﴾^(١) . وفي هذه الآية قال رسول الله ﷺ : « ما أحد أغير من الله تعالى، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن^(٢) » ومن الغيرة كراهية مشاركة الغير، وإذا وصف الله سبحانه بالغيرة فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له^(٣) .

وعليه فإن الغيرة غيرتان، غيرة الحق سبحانه على العبد، وهو أن لا يجعله للخلق فيفضي به عليهم. وغيرة العبد للحق، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى، فلا يقال أنا أغار على الله تعالى، ولكن يقال : أنا أغار لله، فإن الغيرة على الله تعالى جهل، وربما تؤدي إلى ترك الدين، والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له^(٤) .

(١) الجاحظ : الرسائل، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) ابن حجر الهيتمي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني ٩٧٤هـ : الزواجر على اقتراف الكبائر، ٥ ط، بيروت : الناشر دار المعرفة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ٩٥ . (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : ابن حجر الهيتمي : الزواجر).

(٣) ابن مفلح " الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ١، ص ٢٣٤.

(٤) ابن ماجه : السنن ، كتاب الخلود، باب الستر على المومن، ج ٢، ص ٨٥٠، حديث رقم ٢٥٤٦.

(٥) سورة الأعراف : آية ٣٣.

(٦) البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى النيسابوري الشافعي (ت ٤٥٨هـ) : السنن الكبرى، ط ١، الهند : الناشر دائرة المعارف، ١٣٥٥هـ، كتاب الشهادات ، باب الرجل يتخذ الغلام والجارية ويجمع عليهما، ج ١٠، ص ٢٢٥ . (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : البيهقي : السنن الكبرى).

(٧) القشيري : الرسالة القشيرية ، ج ٢، ص ٥١٢.

(٨) المرجع السابق، ص ٥١٥.

رابعاً : مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع ، وهو : ما القواعد السلوكية الاجتماعية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في سداواة النفوس ؟

تمكنت الباحثة من الكشف عن (١٨) ثمانية عشر قاعدة سلوكية اجتماعية ، وتناقش هذه النتيجة في ضوء أهمية كل قاعدة سلوكية في التربية الإسلامية ، وكما يلي :

١-٢ مخالطة الناس والحذر منهم :

حثت التربية الإسلامية الناس على التعاون على البر والتقوى، قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(١) . وقال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »^(٢) .

وفي ذلك قال الجاحظ « على أن المرء ليس بوسعه التخلي عن الناس من حوله، وإذا كان الأمر كذلك فليكن التقليل من المخالطة »^(٣) . وقال الأصفهاني : « لا بد من اجتماع الناس ببعضهم، وأنه لا يمكن أن يستغنى بعضهم عن بعض ما داموا أحياء . أما التفرد عن الأخيار اللذين يفيدون فإنه مكروه، وأما التفرد عن الأئذال اللذين يتدنس بمصاحبتهم فإنه محمود . وإن من حق العاقل أن يجتمع مع العامة في ظواهر أحكام الشرع وإقامة وظائف العبادات وإنابتهم من الفضيلة بقدر الوسع »^(٤) . وقد بين الغزالي فوائد المخالطة، وهي^(٥) :

١- التعليم والتعلم ، وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور حصول ذلك إلا بالمخالطة.

٢- النفع والانتفاع ، ولا يتأتى ذلك بدون المخالطة.

(١) سورة المائدة : آية ٢ .

(٢) النووي : صحيح مسلم بشرح النووي، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم، ج ١، ص ١٥٩، حديث رقم ٢٥٨٥ .

(٣) الجاحظ : رسائل الجاحظ، ١٣٤ .

(٤) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٦٩ .

(٥) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢٦٣ .

٣- التأديب والتأدب، ولا يتمان إلا بالمعاناة والمجاهدة في تحمل أذى الناس كسراً للنفس وقهراً للشهوات وهما من فوائد المخالطة.

٤- الاستئناس والإيناس بحضور الولائم ثم إجابة الدعوات ومواضع المعاشرة والأنس.

٥- نيل الثواب وإنالته، ونيل الثواب يتم بحضور الجنائز، وعبادة المرضى وحضور صلاة العيدين والجماعة. وأما إنالته فبفتح الباب للناس لعبادته أو تعزيتة أو تهنتته . حيث أن الأمة الإسلامية ليست أكواماً بشرية صالحة أو غير صالحة، إنما هي نسيج اجتماعي تحكمه سنن الله وقوانينه في بناء الأمم وصحتها ومرضاها ووقائها، وتتلاحم فيه مكونات الأمة وتعمل متكاملة، بحيث تكون حصيلة هذا كله إخراج الأمة المسلمة وقيامها بوظائفها طبقاً لحاجات الزمان والمكان^(١).

٣- شكر أصحاب الفضل :

قال تعالى : ﴿ وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾^(٢)، ويعرف الشكر بأنه الثناء على المحسن بما أولاك من المعروف. قال تعالى : ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾^(٣) والشكران خلاف الكفران وقول الناس في الشكر، قيل : هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقيل الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه ، وقيل النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمه، والقيام بالخدمة، وقيل : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيفاً، وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر، وقيل الشكر است فراغ الطاقة في الطاعة، وقال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم، بل في تمام الشكر أن تشهر النعمة من المنعم^(٤).

والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه^(٥) . وقال ابن القيم : والله سبحانه وتعالى أعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله، ومن على من لا يشكره^(٦) . قال أيضاً: « الشكر اسم لمعرفة النعمة

(١) الكيلاني : أهداف التربية الإسلامية، ص ٧٦.

(٢) سورة الأنعام : آية ٥٣.

(٣) سورة الإنسان : آية ٩.

(٤) ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية، ص ٢٤٥.

(٥) المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٦) ابن القيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت : الناشر مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م، ص ٥٣.

لأنها السبيل إلى معرفة المنعم، ولهذا يسمي الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكراً، فمعرفة النعمة ركناً من أركان الشكر. فإذا عرف النعمة توصل إلى معرفة المنعم بها، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره^(١). وقد حدّد ابن القيم الجوزية من معاني الشكر في سبيل العامة ثلاثة أشياء: معرفة النعمة، ثم قبول النعمة، ثم الثناء بها، وهو أيضاً من سبيل العامة. أمّا معرفتهما : فهو إحضارها في الذهن ومشاهدتها وتقيّزها. وقبولها هو تلقيها من النعم بإظهار الفقر والغاقة إليها وأن وصولها إليه بغير استحقاق منه، ولا بهذا ثمني بل يرى نفسه فيها كالطفيلي، ثم الثناء على المنعم وهو نوعان، عام وخاص، فالعام : وصفه بالجلود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء، والخاص التحدث بنعمته والإخبار بوصفها إليه من جهته^(٢) وقد عرّف الأصفهاني الشكر بأنه : « تصور النعمة وإظهارها، وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها، وهو ثلاثة أضرب : شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه »^(٣).

٤-العدل:

ورد العدل في عدد من آيات القرآن، وأمر الله تعالى المؤمنين بأن يكون العدل خلقاً من أخلاقهم، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾^(٤) قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾^(٥). وقد بين حنكة الميداني حدود العدل بقوله : « والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه ويساويه دون زيادة أو نقصان، ومن أجل ذلك كان الميزان رمزاً لإقامة العدل ومن عجيب أمر ميزان العدل أن للحق فيه موجباً وسالباً، أما موجب الحق فهو ثقل يرجع الكفة التي يوضع فيها ولا يتحقق العدل إلا بوضع ثقل معادلة في الكفة المقابلة لها. وأما سالب الحق فهو قوة تطيش بالكفة إلى جهة العلو جاد به لها، وهذا الميزان يزن الواجب والحرام، يزن ما هو حق ويزن ما ليس بحق، وقد

(١) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٣) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، د. ط، بيروت : دار المعرفة، د. ت، ص ٢٦٥.
(وسيشار إليه فيما بعد هكذا : الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن).

(٤) سورة المائدة : آية ٨.

(٥) سورة البقرة : آية ١٤٣.

تم تحديد الحقوق المختلفة من قبل صاحب الحق كله في كل شيء في الوجود وهو الله تبارك وتعالى»^(١) ولا كان العدل أحد فروع خلق حب الخير وإيثاره كان لابد من أن يكون هناك من يحبون الحق ويؤثرونه قوماً متصفين بخلق العدل، ولذلك فإن أهل الإيمان الصادقين أهل عدل، إذ جعلهم حبهم للحق يؤمنون به مما دفعهم إلى إقامة العدل والحكم بالعدل والشهادة بالعدل ومعاملة الناس به والقول به، ولذلك خاطب الله في أمره بالعدل الذين آمنوا اشعاراً بأن العدل من لوازم الإيمان، وحينما يتحول العدل من كونه أثراً من آثار حب الحق أو ثمرة من ثمرات الإيمان إلى كونه ظاهرة عملية متكررة في سلوك الفرد، فإنه يكون حينئذ خلقاً من أخلاقه المتمكنة فيه^(٢). كما أورد الأصفهاني في فضيلة العدالة « بأنها لفظ يقتضي ذكر المساواة وهي في التعارف إذا اعتبرت بالقوة هيئة في الإنسان يطلب بها المساواة ، وإذا اعتبرت بالفعل فهي القسط القائم على الاستواء ، وإذا وصف الله تعالى بالعدل فليس يراد به الهيئة إنما يريد به أن أفعاله واقعة على نهاية الانتظام. والإنسان في تحري العدالة يكون تام الفضيلة. والعدالة تارة يقال هي الفضائل كلها من حيث لا يخرج شيء من الفضائل عنها، وتارة يقال هي أجمل الفضائل من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها في نفسه وفي غيره، وهي ميزان الله المبرأ من كل ذلة، وبها يستتب أمر العالم، فقال تعالى : ﴿ والسما رفعها ووضع الميزان ﴾^(٣) ، وعبر عن العدالة بالميزان إذ كان من أثرها ومن أظهر أفعالها الخاصة^(٤).

٥- الجود :

إن للجواد منزلة رفيعة، قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾^(٥) وقال رسول الله ﷺ « يا ابن آدم إنك إن تهذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفساف ، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى^(٦). لكن الإنسان مجبول على حب المال والحرص على اقتنائه، يضرب في مناكب الأرض وأكثر تفكيره في نفسه وأقله في الآخرين. قال تعالى ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامستكم خشية

(١) المبداني ، عبدالرحمن حسن حنبله : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ط٢ ، دمشق، الناشر دار القلم ، د.ت، ج٣، ص٦٢٣.
(وسبيل إلى فهم بعد هكلا : المبداني ، الأخلاق الإسلامية).

(٢) المبداني : الأخلاق الإسلامية، ج١، ص٦٢٩.

(٣) الرحمن : آية ٧.

(٤) الأصفهاني : الزريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٨٣.

(٥) سورة البقرة : آية ٢٧٤.

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ج١، ص ٧٢١، حديث رقم ١٠٤٢.

الإتفاق وكان الإنسان قتوراً ﴿ ١١ ﴾ . وقد عد الإسلام هذا الشعور من النزعات الخسيسة التي يجب أن تخاصم بعنف ﴿ ١٢ ﴾ .

٦- الموعظة الحسنة :

ومعناها تذكير الشخص بما يلين قلبه من الثواب والعقاب، ويطلق الوعظ والإرشاد في العرف على الخطابة الدينية سواء كانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية اعتقادية، أو عملية، أو أخلاقية، أو تأديبية، لإيقاظ الناس من غفلتهم بالنصح والتذكير بالعواقب والوعظ والإرشاد، وهو العلاج الناجح لصالح العالم، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من أمراضها ﴿ ١٣ ﴾ . قال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ . وقد اشتهر في الأمة الإسلامية الكثير من الوعاظ الذين كان لهم أثر كبير في ترويق القلوب، وربطها بالله سبحانه وتعالى ، أمثال : الحسن البصري، وابن الجوزي ، وعبدالله بن المبارك ﴿ ١٥ ﴾ . فالقول الحسن هو الدواء لما يلقيه الشيطان من نزعات في نفوس أفراد جماعة الحق ﴿ ١٦ ﴾ . وقد أشار محمد قطب إلى أهمية التربية بالموعظة فقال : « الموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، وتهزه هزاً، وتنير كوامنه لحظة من الوقت كالمسائل الذي تقلب رواسيه ، فمثلاً كيانه، ولكنها إذا تركت تتروى من جديد وهي لا تكف إلا إذا وجدت بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بالتقليد ويشجع على التآسي بها » ﴿ ١٧ ﴾ .

٧- الشدة والغلظة في حدود الله :

من أمثلة الشدة والغلظة في حدود الله ما قاله عبادة بن أنس : شهدت عمراً يضرب رجلاً حداً في خمر. فقال له إنك إن عدت الثانية ضربتك ثم ألزمتك الحبس حتى تحدث خيراً، فقال : يا أمير المؤمنين أتوب إلى الله أن أعود في هذا أبداً، قال: فتركه عمر ﴿ ١٨ ﴾ .

(١) سورة الإسراء : آية ١٠٠ .

(٢) الفزالي : خلق المسلم، ص ١٤٤ .

(٣) بيومي ، مصلح سيد : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، ط ٢، القاهرة : الناشر دار التوفيقية ١٩٧٩م، ص ٥٧ - ٥٨ . (وسيلار إليه فيما بعد هكنا : البيومي: أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

(٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٥) بيومي : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، ص ٥٩ .

(٦) البلاي، عبدالمجيد : البيان في مداخل الشيطان، ص ٥٠ .

(٧) قطب ، محمد : منهج التربية الإسلامية، ط ١٣، القاهرة : الناشر دار الشروق، ١٤١٢ - ١٩٢، ج ١، ص ١٨٧ .

(٨) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٣، بيروت : الناشر دار الكتاب العربي ١٤٠٠هـ ... ١٩٨٠م، ج ٥، ص ٣٦٥ . (وسيلار إليه فيما بعد هكنا : الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء).

٨- القدوة الصالحة :

أن للقدوة الحسنة أهميتها في التربية الإسلامية، فقد قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ ^(١). ومما روي أن عمر رأي على طلحة ثوباً مصبوغاً، فقال له : إنكم أيها الرهط أنتم يقتدى بهكم الناس. وإن جاهلاً لو رأى هذا لقال على طلحة ثوباً مصبوغاً، فلا يلبس أحد منكم من هذه الثياب شيئاً إنه محرم ^(٢).

وقد تحرر الأئمة مما يحط به من منزلتهم، فقال الأوزاعي : « كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يقتدى بنا خشيت ألا يسعنا التبسم » ^(٣). ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قيل له : لمن نسأل بعدك ؟ فقال لعبد الوهاب الوراق، فقيل إنه ضيق العلم، فقال : رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق ^(٤).

إن أسلوب القدوة يتربع على قمة الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية، وهو الأسلوب الناجع الذي يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق. فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة، ولهذا تعد من أدل الأساليب التربوية الوقائية، إذ لا قيمة لما يأتي بعدها من الأساليب حين تفقد ^(٥).

٩- الحفاظ على الصداقة والإخلاص فيها :

إن التقوى أساس الصداقة، قال تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ ^(٦). وخير الأصحاب عند الله هو من كان خيراً لصاحبه. قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله تعالى خيراً لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيراً لجاره » ^(٧).

(١) سورة الأحزاب : آية ٢١.

(٢) ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنع المرعية، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٥) الحنري ، خليل عبدالله عبدالرحمن : التربية الوقائية في الإسلام، د. ط. ، أم القرى : الناشر معهد البحوث العلمية لإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ، ص ١٩٩.

(٦) الزخرف : آية ٦٧.

(٧) الترمذي : السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، ج ٤، ص ٣٢٣.

أما شروط الصحبة فقد حددها ابن مسكويه : « أن يكون الصديق حافظاً لأسرار صديقه لا يذيعها بين الناس ، ولا يجرح صديقه فيبوح بسرّه في ظروف معينة أو يتخذ من الهزل وسيلة يستخف بها إفشاء الأسرار. لأن الصداقة تتضمن أن يكون الصديقان شيئاً واحداً في شخصين يغار كل منهما على أخيه ويحرص على مرضاته » ^(١). ومنها الخدمة ، قال مجاهد : « صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني » ^(٢) ، ومنها المدانة في العمل ، قال محمد بن منذر : « كنت أمشي مع الخليل بن أحمد ، فانقطع شعسي فخلع نعليه ، فقال : ما تصنع ؟ قال أدانيك في الحفاء » ^(٣) ، ومنها الضن به ، قال الجاحظ : « إذا صفا لك أخ فكن به أشد ضناً منك بنفسائس أموالك ، ثم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خلقاً أو خلتين تكرههما ، فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد فكيف بنفس غيرك » ^(٤). وعلى كلٍّ أحد أراد صديقاً أن يتحقق منه ، قال ابن مسكويه : « إذا أردنا أن نستفيد صديقاً أن نسأل عنه كيف كان في حياته مع والديه ومع أخوته وعشيرته ، فإن كان صالحاً معهم فارجو الصلاح منه ، وإلا فأبعد منه وإياك وإياه . ثم أعرض بعد ذلك سيرته مع أصدقائه قبلك فأضفها إلى سيرته مع إخوته وآبائه ، ثم تتبع أمره في شكر من يجب عليه شكره ، أو كفره بالنعمة ، وأحذر أن تبتلى بالكافر للنعم المستحقة لأيادي الإخوان وإحسان السلطان » ^(٥). ومتى حصل لأحد صديق أن يكثر مراعاته ، وبالغ في تفقده ، ولا يستهين باليسير من حقه عندما يعرض له ، أو حادث يحدث به ^(٦) ومشاركة الصديق في السراء والضراء أوجب وموقعها عنده أعظم ولا تنتظرن منه أن يسألك تصريحاً أو تعريضاً ، بل اضطلع على قلبه ، وأسبق إلى ما في نفسه وشاركه في مضمض ما لحقه ليخفف عنه ^(٧).

(١) ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ط١ ، بيروت : الناشر دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٦م ، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، د. ط. تحقيق إسماعيل الأنصاري ، الرياض : الناشر مطابع القصيم ، ١٣٨٩هـ ، ج ٢ ، ص ٤٤٢. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٢.

(٤) الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ١٢٢.

(٥) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٧) المرجع السابق ، ص ١٤٣.

١٠- اجتناب اللوم والعتاب :

يجب على الصديق ألا يزهد في صديق له لخلق أو خلقين ينكرهما منه، إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه، لأن اليسير مغفور، والكمال معوز^(١). فقد قال أبو الدرداء : « معاتبة الأخ خير من فقدته ، ومن لك بأخيك كله »^(٢). وقال الكندي : « كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع، مع أن نفس الإنسان التي هي أخص النفوس به، ومدبرة باختياره وإرادته، لا تعطيه قيادها في كل ما يريد، ولا تجيبه إلى طاعته في كل ما يحب، فكيف بنفس غيره ، وحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره »^(٣). كما قال بعض البلغاء : « لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وطمنت عقله، عيب خفي، تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد ما بقيت مهذباً لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر نفسك بعد ألا تراها بعين الرضا، ولا تجري فيها بحكم الهوى، فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يؤسك مما تطلب . ويعطفك على من يذنب »^(٤) وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره، واختيار الخصال الأربع فيه، لأن ما أعوز فيه معفو عنه، وهذا لا ينبغي أن توحشك فترة تجدها منه، ولا أن تسيء الظن في كبوة تكون منه، ما لم تتحقق تغيره، وتتيقن تنكره، وليصن ذلك إلى فترات النفوس^(٥).

١١- اختيار الصديق والجلس الصالح :

تستدل الباحثة على أهمية اختيار الصديق والجلس الصالح بقوله تعالى : « وقال يا قوم قد أهملتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين »^(٦). وبقوله « ﷺ » قال : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »^(٧).

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٥) المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٦) سورة الأعراف، آية ٧٩.

(٧) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) : سنن أبي داود، تعليق عزت عبيد، د. ط، دمشق : الناشر دار الحديث، د. ت، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، ج ٥، ص ١٦٨، حديث رقم ٤٨٣٣. (وسيلشار إليه فيما بعد هكذا : أبو داود: السنن).

وقد أكد الغزالي على أنه : « لا يصلح للصحة كل إنسان ولاهد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته، وتشترط تلك الخصال بحسب الفرائد المطلوبة من الصحة، ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية، أما الدنيوية كالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة، وليس ذلك من أغراضها. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة من العلم والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب ويصدّ عن العبادة، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عنه تضبيع في طلب القوة، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة، فقد قال بعض السلف : «استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلمك تدخل في شفاعة أخيك» ^(١) ومن حقوق الصداقة ^(٢) :

١- اعتقاد مودته.

٢- إيناسه بالانبساط له.

٣- نصحه في السر والعلانية.

٤- تخفيف الأثقال عنه.

٥- معاونته فيما ينوب عنه من حادثة.

قال الأصفهاني : « الصديق يحتاج إليه في كل حال، أما عند سؤال الحال فليعاونوه ، وأما عند حسن الحال فليؤانسوه، وليضع معروفه عندهم، وم ظن أن يمكنه الاستغناء عن صديق مفرور، ومن ظن أن وجوده سهل فمعتوه» ^(٣) وأضاف : «حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار، فهي تجعل الشرير خيراً، كما أن مصاحبة الأشرار تجعل الخير شريراً» ^(٤) وقال «يَتَجَنَّبُ» في المجلس الصالح وفوائده : «إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافع الكبير ، فحامل المسك إما أن يحزبك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافع الكبير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» ^(٥).

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ١٦٩.

(٣) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٩٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٥) مسلم : صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ج ٨، ص ١٧٨.

وقال علي بن أبي طالب : « لا تصحب الفاجر فينسب لك فعله ويعد أنك مثله »^(١) وقيل : « جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في خيركم نطقه »^(٢) ، « وإياك مجالسة الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدري »^(٣).

١٢- النصح للصديق :

النصح قاعدة سلوكية تنطوي على معان رفيعة، وقد كان ديدن الرسل والأنبياء. قال تعالى على لسان نبيه صالح : « يا قوم قد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين »^(٤) وهو من الدين، قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٥). وهو حق من حقوق الصداقة ، قال الماوردي : « أول حقوق الصديق اعتقاد مودته، ثم إيناسه بالانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة، أو يناله من نكبة »^(٦). لكن النصح له قواعد وأصول ، منها ما حدده الفزالي بقوله : « هفوة الصديق إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الأخوة فعليك بالتلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله، ويعيد إلى الورع والصلاح حاله »^(٧) ، ويؤكد الأصفهاني أن النصح إخلاص المحبة لغيره في إظهار ما فيه صلاحه، وأول النصح نصح الإنسان لنفسه ، فإن غشها فقلما ينصح غيره، وحق من استنصح أن يبذل غاية النصح وإن كان في شيء يضره^(٨).

١٣- اجتناب مدح أحد :

حث رسول الله ﷺ على اجتناب المدح، فقد سمع ﷺ رجلاً يثنى على رجل ويطره في المدح فقال : « إياكم والتماذج فإنه الذبح »^(٩) وعن المقداد رضي الله عنه : أن رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله

(١) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٤) سورة الأعراف : آية ٧٩.

(٥) النووي : صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، ج ١، ص ٧٤، حديث رقم ٥٥.

(٦) الماوردي : آداب الدنيا والدين، ص ١٧٧.

(٧) الفزالي : إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٨١.

(٨) الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٩٥.

(٩) الألباني : صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب المدح، ج ٢، ص ٣٠٨، حديث رقم ٣٠١٧.

عنه فعمد المقداد فجثا على ركبتيه فجعل يجثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان : ما شأنك؟ فقال أن رسول الله (ص) قال : « إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب »^(١) ذلك أن المدح فيه ست آفات أربع في المداح واثنتان في المدوح ، فأما المداح فإنه^(٢) :

١- قد يفرط فينتهي به إلى الكذب ، قال خالد بن معدان : من مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله تعالى يوم القيامة يتعثر بلسانه.

٢- قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله.

٣- قد يقول ما لا يتحققه.

٤- قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق. أما المدوح فإنه يضربه من وجهين :

١- أنه يحدث فيه كبراً أو إعجاباً وهما مهلكان.

٢- أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به ورضي عنه نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره للعمل .

وقد حذر الغزالي المدوح، وعليه أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المداح ولو انكشف له جميع أسرارها وما يجري على خواطره لكف المداح عن مدحه، وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المداح^(٣)، ولم تر العلماء بأساً « إن كان المدوح عنده كمال إيمان، ويقين، ورياضة بحرام ولا مكروه، وإن ضيق عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه »^(٤).

١٤- الإحسان إلى الأهل والجيران :

إن للأهل والجيران حقوق ناجمة عن مخالطتهم، قال الغزالي : « إن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له يد من تعلم آداب المخالطة، ولكل

(١) النووي : رياض الصالحين ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، د. ط، الرياض : الناشر مكتبة المعارف ١٤١٩ - ١٤٩٤ . (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : النووي : رياض الصالحين).

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥٦.

(٣) المربع السابق، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) النووي : رياض الصالحين، ص ٤٩٤.

مخالط في مخالطته أدب ، والآداب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة، أما القرابة هي أخصها، أو أخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحبة، وأما الجوار، وأما صحبة السفر، والمكتب، والدرس ، وأما الصداقة، أو الأخوة، ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم أكد والرحم أحق ولكن حق الوالدين أكد وكذلك حق الجار، ولكن يختلف حسب قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى أن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى الغريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات، فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع، بل أكد منه، والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة» (١).

وقد بين رسول الله ﷺ ما للجار من حقوق بقوله : « الجيران ثلاثة: جارٌ له حق واحد وهو المشترك، له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق وهو مسلم له رحم : له حق الجوار والإسلام والرحم» (٢).

١٥- الإنفاق قبل السؤال :

قال تعالى في الحديث القدسي : «أنفق أخلف عليك ولا ترك فيوكي عليك، ووسع يوسع الله عليك، ولا تضيق فيضيق الله عليك، واعلم أن فضول الأموال سوى الأرزاق التي قسمها الله بين العباد محتسبة عنده» (٣). وقال الشافعي: «السخاء والكرم يغطي عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقه بدعه» (٤). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (٥). وقال ﷺ : «ما يسرنى أن أحداً ذهب يأتي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لدين علي» (٦).

(١) الفزالي : إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٤٥٦.

(٣) الخوارزمي ، مفيد العلوم ومبهد الهموم ، ص ٣٣.

(٤) ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ٣، ص ٣١٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٤٢.

(٦) أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٨٩.

١٦- اجتناب الوقعة بين الناس :

قال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم ﴾ ^(١) والنميمة هي نقل ما سمعه الإنسان عن شخص إلى آخر على وجه يوقع بين الناس ويكدر صفو العلاقات بينهم أو يزيد لها كدراً ^(٢). فعن ابن عباس قال : مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال : « أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » ^(٣). وهماز طعان في الأعراض بلسانه أو بعينه أو بيده . ومشاء نميم عامل بالنميمة، وهي نقل الكلام على جهة الإفساد ^(٤). الهماز هو الذي يصيب الناس . ومشاء بنميم أي كثير المشي بالنميمة ^(٥). فإن الهماز الذي يهزم الناس بيده ويضربهم وليس باللسان . والهمز أصله الغمز وقيل للمفتاب هَمَامٌ لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهونه ومشاء تعني مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض ^(٦).

١٧- حفظ الأعراض والحرم :

لقد صان الإسلام الكرامات قال ﷺ في حجة الوداع « إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا » ^(٧) وقد نظر عبدالله بن عمر يوماً إلى الكعبة فقال : « ما أعظمكم وما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك ، وحرمة المؤمن تتمثل في حرمة عرضه ودمه وماله » ^(٨). وقد حفظ الإسلام عرض الفرد من الكلمة التي يكرهها تذكر في غيبته وهي صدق فكيف إذا كان الكلام افتراء لا أصل له، إنها حينئذ تكون حراماً كبيراً، وإثماً عظيماً قال ﷺ لأصحابه : «

(١) سورة القلم : آية ١٠-١١.

(٢) القرطبي : يوسف : الحلال والحرام في الإسلام، د. ط. القاهرة : الناشر ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص ٢٦٢. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : القرطبي : الحلال والحرام في الإسلام،).

(٣) ابن حجر حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، ج ١٠، ص ٤٨٧، حديث رقم ٦٠٥٥، النووي : صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب لمحة البول ووجوب الاستبراء منه، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٤) أطفيش، محمد بن يوسف : تيسير التفسير، د. ط. سلطنة عمان : الناشر وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٥٥. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : أطفيش : تيسير التفسير).

(٥) الكلبي، أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي (ت ٧٤١هـ) : التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط وتصحيح وتخريج محمد سالم هاشم، ط ١، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٧. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل).

(٦) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) : جامع البيان في تأويل آي القرآن، د. ط. بيروت : الناشر دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ج ٢٩، ص ٢٢-٢٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن).

(٧) ابن حنبل : مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٤١١.

(٨) القرطبي : الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٦١.

أتدرون أرى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أرى الربا عند الله الاستطالة عرض المسلم بغير حق»^(١)، ثم قرأ ﴿يَعْلَمُ﴾ قوله تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾^(٢) . وأشد هذا اللون من الاعتداء على الأعراض هو رمي المؤمنات العفيفات بالفاحشة لما فيه من ضرر بالغ بسمعتهم وسمعة أسرهن وخطر على مستقبلهن فضلاً عما فيه من حب إشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن^(٣) ، والشتم هو رمي أعراض الناس بالمصائب القبيحة، وذكرهم بقبيح القول، حضراً أو غيباً^(٤) قال رسول الله ﴿يَعْلَمُ﴾ : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة »^(٥) وقال ﴿يَعْلَمُ﴾ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته »^(٦).

١٨- اجتناب التظاهر بالفقر :

رفع الله تعالى من منزلة المتعففين من الفقراء، قال تعالى : ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾^(٧) وقد قال بعضهم للحسن بن علي : « إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال : رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول من اتكل على حسب اختيار الله تعالى له لم يتمنى أنه في غير الحالة التي اختار الله »^(٨).

(١) الخطيب : مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب ما ينهي عنه من التهاجر والتقاطع وأتباع العورات، ج ٢، ص ٦٢٣ حديث رقم ٥٠٤٥.

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٨.

(٣) القرطبي : الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٦٢.

(٤) السلمان ، عبدالعزيز المحمد : موارد الطمان لدروس الزمان، ط ١٨، الرياض : الناشر مطابع الخالد، ١٩٨٧م، ص ٤١١، (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : السلمان : موارد الطمان).

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج ١١، ص ٣١٤، حديث رقم ٦٤٧٤.

(٦) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود والشبهات، ج ٢، ص ٧٩، حديث رقم ٢٠٦٣.

(٧) سورة البقرة : آية ٢٧٣.

(٨) الغزالي : روضة الطالبين وعمدة السالكين، ص ١٧٤.

التوصيات :

في ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثة بما يلي :

- ١/ تضمين القواعد السلوكية العقلية والمعرفية، والقلبية، والخلقية والاجتماعية، عند ابن حزم الأندلسي في المناهج الدراسية المقررة في مراحل التعليم العام بجمهورية السودان.
- ٢/ بما أن نظرة ابن حزم للفرائز والانفعالات والعواطف والعلاقات تقوم على الموازنة وتوجيه العاطفة فإنه يمكن اعتماد القواعد السلوكية عنده في معالجة كثير من المشكلات العقلية والمعرفية ، والقلبية، والخلقية ، والاجتماعية.
- ٣/ طباعة نتائج الدراسة وتعميمها على المعلمين والطلاب والطالبات والقائمين على العملية التربوية والتعليمية والتعلمية حتى تعم الفائدة منها.

المقترحات :

تقترح الباحثة استكمالاً لما بدأته بإجراء الدراسات التالية :

- ١/ «درجة التزام المعلمين بالقواعد السلوكية التي حددها ابن حزم الأندلسي من وجهة نظر طلابهم».
- ٢/ «مدى مساهمة القواعد السلوكية عند ابن حزم الأندلسي في تعديل السلوكيات غير السوية عند الطلبة من وجهة نظر معلمهم».
- ٣/ «مدى مراعاة كتب التربية الإسلامية واللغة العربية والاجتماعيات للقواعد السلوكية التي حددها ابن حزم الأندلسي».